

لماذا نفشل في حياتنا الزوجية ؟

للاستاذ عيسى متولى

حين فكرت في اعداد هذا الموضوع ، استعرضت أمامي صوراً لأزواج وزوجات سعدوا في حياتهم الزوجية وسعدت بسعادتهم فلذات أكبادهم ، وأظلمهم الهناء بظلمه الوارف ، ثم استعرضت صوراً أخرى لأزواج وزوجات خانهم التوفيق ففشلوا في حياتهم الزوجية ، وانهارت صروح هنائهم ؛ ورحلت أبحاث عن العوامل التي انتهت بهؤلاء الأشقياء الى الفشل وعلى ضوء هذا البحث كتبت هذا الموضوع .

*
*

الزواج رابطة مقدمة تربط بين قلبين فتجعل منهما قلباً واحداً في جسدين ، يشعران شهوراً واحداً ؛ فإذا كان الزواج موفقاً قائماً على أسس قوية سليمة سعد الزوجان بأكثر قسط من الهناء ، ورفلاً في مجبوحة الرغد ؛ أما إذا لم يقم الزواج على أساس قوى سليم فان البيت لا يلبث أن تتصدع جوانبه ، وتسوده القوضى ، ويعمه الاضطراب ؛ فينقض وينهار .

وإذا أتيج لنا أن ندرس تلك الحالات التي تنتهي بالفشل ؛ وجدنا أن الفشل في الحياة الزوجية يعزى الى أسباب كثيرة متعددة ، فهى بمثابة معاول الهدم التي تهدم عش الزوجية ، وتفرق بين الزوجين ، ولو قدر لهؤلاء الأزواج والزوجات أن يتداركوا ما وقعوا فيه من الاخطاء التي كدرت صفو حياتهم ، وسببت انهيار صروح سعادتهم وأمانهم ، لما انتهت حياتهم الزوجية الى هذا المصير المحزن .

*
*

يخطئ الكثيرون في تفهيم حقيقة الزواج والغرض منه ، إذ يسيطر حب المادة على قلوبهم وعواطفهم فيصرفهم عن الاهتمام بالنواحي الأخرى في الزواج ، فترى طالب الزواج يؤثر الناحية المادية بجمل عنايته واهتمامه ؛ فهو لا يهتم بأية ناحية في الزوجة بقدر ما يهتم بإيرادها الشهري وما يملكه أبواها من عقار ، وعدد أشقائها وشقيقاتها ، ونصيبها من هذه الثروة وما عساه أن يؤول إليها بعد موت أبويها ! .. وهكذا تصرفه المادة عن سائر النواحي التي يجب أن يكون لها الحظ الوافر من الاهتمام والعناية .

كذلك الفتاة تطمع في الزواج من شاب غنى موسى ، وترغب عن الزواج من شاب رقيق الحال ، ولو كان طيب السمعة حميد الخلق .

وجهلت الفتاة أن هذا الغنى الموسر قد يصرفه ماله عن بيته ، أو ينسبه واجبات الزوجية ، وانها قد تجد معادتها وهناءها في ظل شاب رقيق الحال ، يملأ بيتها بهجة وحبورا .

اننا لا ننكر أن المال عامل من عوامل اكتمال السعادة الزوجية ، ولكن ليس معنى ذلك أن نوقف عليه مصيرنا الى هذا الحد، بل يجب أن نهتم بالناحية الخلقية في الزوجة قبل اهتمامنا بالناحية المادية .

ويعتمد الكثيرون في زواجهم على الخطاب والخطابات ، فيمهدون اليهم باختيار الشريك أو الشريكة ، وهؤلاء الوسطاء يحنون على طلاب الزواج أشنع جنابة ، ويلحقون بهم جسم الاضرار ، لأن كل غايتهم اتمام الزيجة ليظفروا بأجرهم من الطرفين ولأصوّر للقارىء مبلغ هذا الضرر أروى مأساة شاب وفتاة كانا ضحية احدى الخطابات .

أراد ذلك الشاب أن يتزوج من فتاة موسرة ، يكون دخلها كبيرا لتعينه على العيش ، فلما علمت احدى الخطابات برغبته طرقت باب احدى الأسر الفقيرة ، وحات اليهم بشرى غورها على شاب غنى من احدى البيوتات الكبيرة ، وزعمت أن دخله الشهري لا يقل عن الخمسين جنيها . وأنه يمتلك في المنوفية عشرات الأفدنة . . وفي الشرقية مثلها . وأنه ... وأنه ... الى آخر هذه الأوصاف التي يحدد وصفها الخطابات ! .

ثم حادت إلى الشاب تمنيه بالعثور على فتاة أحلامه ، فزعمت له أنها وفتت إلى الزوجة المنشودة ، وأنها من أسرة عريقة ... وان دخلها الشهري لا يقل عن الخمسين جنيها ... وأنها تمتلك في المنوفية عشرات الأفدنة ... وأنها ... وأنها ... تماما كما وصفت الشاب عند آل العروم ...

وصدق الشاب قول الخطابة ، وصدق أهل الفتاة قولها ، وطمع الزوج في إيراد الزوجة ، وطمعت الزوجة في إيراد الزوج . وزقت الفتاة إلى الفتى . وتمت الزيجة . ولما انقضى الشهر الأول ترقب كل منهما لإيراد شريكه ، فصدمتها الحقيقة المرة . واتضح أن الزوج فقير معدم ، لا يزيد راتبه عن خمسة جنيها ، وأن الفتاة هي الأخرى فقيرة معدمة ، لا تمتلك شبرا واحدا من الأرض ... فلم يحمد الزوج في زوجته غرضه ، ولم تجند الزوجة في زوجها ضالتها ، فكانت المأساة ... وانتهى الأمر بالفراق !

وكثيرا ما يدب الخلاف بين الزوجين حول تنازع السلطة ، فالزوجة تريد أن تكون السلطة في يدها ، فتمتلك زمام البيت ، وتبعمن على كل شئونه ، والزوج يرى من حقه أن يكون هو صاحب السلطة المطلقة في البيت ، كلمته هي العليا ، ورأيه هو النافذ... ومن هنا تصادم الرغبتان ، فيقوم الخلاف بين الزوجين ، وكثيرا ما يتمخض هذا الخلاف عن أسوأ النتائج .

وعندى أن خير علاج لهذه المشكلة أن يقسم الطرفان السلطة ، فيتولى كل منهما الاشراف على النواحي التي تناسبه فيتعاونان معا في إدارة البيت وتصريف شؤونه ، ويتشاوران في كل أمر ، وبذلك يستطيع الزوجان أن يديرا دفة البيت بحكمة وروح مشبعة بالود والتفاهم .

فأذكر على سبيل المثال ، أن النواحي التي يجب أن تكون من اختصاص الزوجة هي النواحي "الداخلية" أي الاشراف على تدبير البيت ، وتنظيم أبواب الانفاق ، وتربية الابناء .

أما النواحي التي تدخل في دائرة اختصاص الرجل فهي الناحية المادية ، إذ أنه المسئول الأول عن هذه الناحية ، كما يدخل في دائرة اختصاص الزوج مهمة التوجيه العلمي لأبنائه وتعهدهم .

أو بعبارة أخرى ، نستطيع أن نشبه البيت بدولة صغيرة ، يشرف على تصريف شؤونها طرفان ، فالرجل بطبيعته هو المسئول الأول عن كل صغيرة وكبيرة في البيت ، فمن حقه أن تمنحه "السلطة التشريعية" أما الزوجة فمن حقه أن تمنح "السلطة التنفيذية" فتتولى تنفيذ برامج السلطة التشريعية ، وهكذا تسير شؤون البيت سيرا طبيعيا . منظما ، دون أن تعترضها عقبات تعرقها أو تعوق سيرها .

* *

ومن عوامل الفشل في الحياة الزوجية إسراف بعض الأزواج في قضاء أوقات فراغهم خارج البيت ، فيضيعون ذرعا بيوتهم ، وينفقون منها الى المقاهي والنوادي حيث يقضون جانبنا كبيرا من الليل ، وينفقون الساعات الطوال يخوضون في الأمراض ، أو يعكفون على الموائد الخضراء ، ولا يعودون الى بيوتهم إلا في الهزيع الأخير من الليل .

هؤلاء الأزواج يهدمون سعادتهم الزوجية بأيديهم ، لأنهم يسرفون في اللهو والعبث إسرافا يصرفهم عن واجبات البيت ومراعاة شؤونه .

ليس على الزوج حرج أن يقضى سهرة كل أسبوع أو كل شهر خارج البيت ، أما أن يقضى ليالى الأسبوع كلها بعيدا عن بيته وزوجه وأولاده فهذا استهتار بحقوق الزوجية يشير سخط الزوجة ورضها ، وهى على حق حين تثور وتفضب ، لأن للبيت حقوقا يجب أن تؤدى وواجبات يجب أن يترضا الزوج من نفسه منزلة التقديس .



وهناك أزواج ينفقون خارج البيت فى سخاء وامراف بينما يضيئون الخناق على زوجاتهم وأولادهم فيقترون عليهم تقتيرا قاسيا يترع جذور الحب من قلوبهم ، ولو أنصف هؤلاء الأزواج لاقصروا فى انفاقهم على الأبواب المهمة ، ولقد روت لنا الصحف مأساة هذه السيدة الكريمة التى لجأت الى مكتب حماية الآداب شاكية زوجها لأنه يتقاضى مرتبا محترما ينفق معظمه فى المقامرة تاركا أولاده يتضورون جوعا ، وطلبت الى مكتب الآداب أن يتدخل فى هذا الموضوع ، وأمثال هذه الزوجة العسة كثيرات ، نكبن بأزواج لا يحسنون التصرف ، فبينما يضمنون على بيوتهم بالقروش تراهم ينفقون خارج البيت بالجننيات !

وللعاملة الزوجية أثرها فى حياة الزوجين ، فن واجب الزوج أن يحسن معاملة زوجته وأن يعمل على إرضائها ، وتجنب ما يثير غضبها ، وعلى الزوجة مثل ذلك وبهذا يستطيع الزوجان أن يوطدا هئاءهما ، وان كلمة طيبة يوجهها الزوج الى زوجته ، أو الزوجة الى زوجها لكفيلة بأن تزيل من النفس كل أثر سيء ، كما أن كلمة جارحة يعثر بها لسان أحدهما فى حالة الغضب قد تكون سببا فى افتراقهما ، واتساع شدة الخلاف بينهما .



تأتى بعد ذلك مشكلة السن ، فهناك آباء يفضلون زواج بناتهم من أزواج أغنياء رغم تقدمهم فى السن ، طمعا فى ثروتهم التى يتوقعون أنها ستؤول اليهن فى يوم من الأيام وهذه فكرة خاطئة ، لأنه ليس من الحكمة أن نضحى بسعادة بناتنا طمعا فى المال .

أى مال هذا الذى ينبع به سعادة بناتنا فتزوجها بشيخ محطم ، قوس الدهر ظهره ، طمعا فى ثروته وجاهه .

كيف نجتمع بينهما تحت سقف بيت واحد؟! وهى فى ربيع حياتها ، وهو فى خريف حياته؟! ..

كيف نجتمع بين الشباب والشيخوخة؟! ..

كيف نجتمع بين القوة والضعف؟! ..

كيف نجتمع بين الأمل واليأس؟! ..

كيف نجتمع بين النور والظلمة؟! ..

إن فتاة في العشرين من عمرها أو دون العشرين لا تطيق العيش مع شيخ هرم ، لأن ميولها لا تتفق مع ميوله ، وأفكارها لا تتسجم مع أفكاره ، ومن الخير لها أن تقترب من يقاربها في السن ، ليفهمها وتفهمه ، وتتفق مشاربها ومشاربه . . .

ألا سمحاً لهذا الثراء الذي تشتريه بسعادتنا ، وما أفدح هذا الثمن الذي ندفعه لقاء هذا الثراء الموهوم ! إننا ندفعه من عصارة قلوبنا ! . . .

ثم كيف يأسى لزوج تقدمت به السنون أن يكمل تربية أولاده ويرطاهم حتى يكبروا . وهو في الستين أو السبعين من عمره ؟ ! .

هذا خطأ يقع فيه بعض الآباء حين يزوجون بناتهم من شيوخ محطمين ، وعاقة هذا الخطأ تحملها الزوجة المسكينة وحدها ، وهي عاقبة سيئة وخيمة . . .

ويصر بعض الآباء على زواج بناتهم بترتيب أعمارهن ، وبذلك يضيعون على الصغيرات منهن فرصاً كثيرة ، قد لاتتاح لهن فيما بعد .

ويحسن أن يكون للفتاة رأيها في الزوج الذي تقدم إليها ، فلا نغفل هذا الرأي بل يجب أن نقيم له وزنه ، وأن نحترمه ، لأنه حق شرعي من حقوقها ، خليق بنا ألا نهضمه .



وإذا دب الخلاف بين الزوجين وافترقا ، كان الأبناء الضحية الأولى لهذا الفشل ، تتعرض حياتهم لأخطار كثيرة ، إذ يظنون حائرين بين الأم والأب ، فإذا تزوج الأب من فوجة أخرى حرم الأبناء من عطف الأبوة ، وكرهوا العيش تحت سلطة زوجة أبيهم .

وإذا تزوجت الأم من غير الأب حرم الأبناء من عطف الأمومة ، وكرهوا العيش تحت سلطة زوج أمهم ، وكثيراً ما ينتهي الأمر بهؤلاء الأبناء الأبرياء إلى التشرد في الطرقات ، والسقوط في حماة الرذيلة . . .

إن هؤلاء الأطفال المشردين الذين يهيمون على وجودهم في الطرقات ، وتدفعهم الحاجة إلى ارتكاب الجرائم ، ضحايا أبرياء ، جنت عليهم الظروف ففرقتهم بين آبائهم وأمهاتهم ، وشنت شملهم ، وكان عاقبة ذلك ما يقاسونه من شظف وحرمان ، وما يهدد حياتهم من بؤس وشقاء ، دون ذنب أو جريرة .



فلنفهم الزواج على حقيقته ، ولننظر إليه نظرة مجردة من كل مآرب أو غاية ، ولنشيد بيوتنا الزوجية على دعائم قوية صحيحة ، لنعم بنا نطمح إليه من سعادة وهناء ، ولنتجنب كل طريق لا ينتهي بنا إلى الهدف المقصود والغاية المرجوة .

عيسى متولى